مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

مُسْتَقْبَلُ الصِّراعِ الإسْتراتِيجِيّ (الإسلاميّ – الصهيونيّ)

الشيخ شادي علي - أ. يوسف الشيخ

2024

www.barathacenter.com

مُسْتَقْبَلُ الصِّراعِ الإسْتراتِيجِيّ (الإسلاميّ – الصهيونيّ)

الشيخ شادي علي - أ. يوسف الشيخ

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

2024

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

مُسْتَقْبَلُ الصِّراعِ الإسْتراتِيجِيّ (الإسلاميّ - الصهيونيّ)

- الشيخ شادي علي
- أ. يوسف الشيخ

أولا: أهميّة الدِّراسة

بشكل عامٍّ، تُسهِمُ دراسةُ الصِّراع (الإسلامي-الصهيوني) في فَهم كثيرٍ من التطوُّرات السِّياسيَة والاجتماعية في غرب آسيا والعالم، وتُساعد في تطوير رُؤًى وحلولٍ لأكثر الأزمات العالميّةِ حساسية، وتتجلَّى أهميّةُ الدِّراسةِ في النقاط التالية:

أ. تَطوير فهمٍ أعمقَ للصِّراع (العربي-«الإسرائيلي»): والتعرُّف إلى الدَّوافع الأيديولوجية (التشيُّع، الصهيونية، المدخلية، الإخوان المسلمون،..)، وبدرجة أكبر مع بروز الدَّور الإيرانيِّ ودور حركات المقاومة الشيعية (حزب الله - أنصار الله - الحشد الشَّعبي) كقوة شيعيّةٍ رئيسيّةٍ في المنطقة، ودور حركة حماس كقوة اجتماعيّةٍ فلسطينية بخلفية أيديولوجية تتَّصل بالإخوان المسلمين.

1 - طالب بالحوزة الدينية - سكرتير تحرير مركز براثا للدراسات والبحوث.

ب. تحليل التَّحالُفات المُتعارضة في غرب آسيا: بهدف فَهم التَّحالفاتِ الجديدة والاصطفافات المُتغيِّرة في المنطقة، خاصةً بين إيران وبعضِ الدُّول العربية. وتسليط الضَّوءِ على أثر الصِّراع على الاستقرار الإقليميِّ والدَّولي، وتُساعد في فَهمِ مُسبِّبات التَّوتُّرات والصِّراعات في المنطقة.

ج. دراسة التأثير على انتشار الإسلام في العالم: وفَهم تأثيره في مُختلف أنحاء العالم، ومواقفه من الصِّراع (العربي-«الإسرائيلي»). كما تُساعد في فَهم التَّيارات الإسلامية المختلفة ومواقفِها من «إسرائيل» والصهيونية.

د. فهم البُعد الدِّيني للصِّراع: تُسهِم دراسةُ الصِّراعِ (الإسلامي-الصهيوني) في فَهمِ البُعد الدِّينيِّ للصِّراع، ودور الخطاب الدِّينيِّ في تأجيج الصِّراع. وتُسلِّط الضَّوءَ على الموضوعات الدِّينيةِ المُحفِّزةِ لطَرَفيِّ الصِّراع.

ه. فهم التَّحدِّيات الأمنية الجديدة في المنطقة: خاصةً مع بروز الجماعاتِ المُتطرِّفةِ التي حَرَفَت الجهدَ عن الهدف الأساسِ للأمة الإسلامية، وبروز خطاب التَّوتُّر الطَّائفيِّ الذي يُعتبر من العناصر الأكثر إعاقةً لمواجهة التَّحديّاتِ الأمنيّة ذاتِ البُعد الاستراتيجيِّ، كما تُسهِمُ في تطوير استراتيجيّاتٍ أمنيّةٍ فعّالةٍ لمُواجهةِ هذه التَّحدِّيات.

ثانيًا: العلاقة بين العقيدة والسِّياسة في الصِّراع (الإسلامي-الصهيوني)

تُشكِّلُ العلاقةُ بينَ العقيدة والسِّياسة، في الصِّراع (الإسلامي-الصهيوني)، عقـدةً مُركَّبـةً ومُثيرةً للجَـدل؛ حيث لا يُمكِـنُ فَهمُ هذا الـصِّراع بمَعزلٍ عن التأثيرات العقائديّة التـي تُغذِّيه وتُؤثِّر على مواقف الأطراف المُشـاركة فيه؛ حيث إنَّها تتمتَّعُ بعددٍ من الخصائص:

1. تداخُل المفاهيم والأبعاد: تتداخل المفاهيمُ العقائديّةُ والسِّياسية في الصِّراع (الإسلامي - الصهيوني)، بحيثُ يَصعُبُ فهمُ الدَّوافع الحقيقية للأطراف المُشاركة، وخاصّةً الجهات الصّهيونية، التي تَسعى بذرائعها إلى اعتبار العقيدة والسِّياسة في الأمور الصِّراعيّة عنصرًا واحدًا. حيثُ يُمكِّنُها ذلك من اسـتعمال العَقيدة لتَبرير مواقفَ سياسيّة، واستعمال السِّياسـة لخدمة أهـداف عقائديّة، وهـذا يَبدو واضحًـا في العقيدة الصهيونيّة العلمانيّة، فيما يُمكنُ القولُ إنَّه يَظهر مواربًا في الاتِّجاهات اليَهودية الدِّينيّة التي لا تتَّخذ من الصّهيونية عقيدةً.
2. التأثير المُتبادَل: تُؤثِّرُ العَقيدةُ والدِّينُ على السِّياسة، وتُؤثِّرُ السِّياسةُ على العقيدة. فمن جهة، تُشكِّل العقيدةُ والدِّين إطارًا مرجعيًّا عند الشِّـيعة لصُنع القرارات السِّياسـية. ومن جهة أخـرى، يُمكنُ أن تُستخدَمَ السِّياسةُ عندَ الصَّهاينة لتَغيير المَفاهيم العقائديّة والدِّينيّة أو تكييفها لمَصلحة السِّياسة.

وهذا أدَّى بالنهاية إلى أن تُشكِّلَ العلاقةُ بين العقيدة والسِّياسة في الصِّراع (الإسـلامي-الصهيوني) عقدةً مُركَّبةً ومُتشـابكة. ولا يُمكن فهمُ هذا الصِّراع بمَعزلٍ عن التأثيرات العقائديّة والسِّياسية التي تُغذِّيه. ومن المُهِمِّ دراسةُ هذه العلاقةِ بموضوعيّةٍ وحياديّةٍ لفَهمِ الدَّوافعِ الحقيقيّةِ للأطراف المُشـارِكة، في البُعدَينِ العقائديِّ والسِّياسيِّ، حيث:

1 - البُعد العقائديُّ

- في الفكر الإسـلاميّ: تُؤمِـنُ معظمُ التَّيارات الإسـلامية بكافّة طوائفها ومذاهبها أنَّ "إسرائيل" كيانٌ غيرُ شرعيٍّ ومُحتلٌّ لأرض فلسـطين، وأنَّ مُقاومتَه واجبٌ دينيٌّ. وتَرى هذه التَّيـاراتُ أنَّ الصهيونية حركةٌ معاديةٌ للإسلام وللمُسلمين، وأنَّ قِيَمَها مُضادّةٌ للمسلمينَ، وأنَّ هدفَها هو تدميرُ الإسلام وإفشالُ رسالته الأخلاقية والقِيَميّة والمَعنوية، واستعباد العباد والسَّـيطرة على البلاد والمُقدَّرات، وتَسـتنِدُ هذه التَّياراتُ إلى نصوصٍ دينيّةٍ وأحاديثَ نبويّةٍ تُشير إلى صراعٍ دائمٍ بينَ المسلمينَ واليَهود.
- في الفِكر الصّهيونيِّ: تُؤمِنُ الصّهيونيّةُ بحقِّ اليَهودِ في إقامة دولةٍ لهم في أرض فلسـطين، وتَعتبر هـذه الأرضَ "أرضَ الميعاد" المَوعودةَ لهم في التَّوراة. وتَرى الصهيونيّةُ أنَّ العربَ والمسـلمينَ مثلُ سواهم من "الأغيار" هم أعداءٌ لليهود، وأنَّهم يَسـعَونَ لطردِهم من أرضِهم. وتَستنِدُ الصّهيونيّةُ إلى التُّراث اليَهوديِّ لتَبريرِ حقِّها في أرض فلسطين.

2 - البُعد السِّياسيّ

- تَعمل العَقيدةُ الدِّينيّةُ كأساسٍ للسُّلوكِ السِّياسي: حيثُ يَرتكزُ الطَّرفان على العَقيدة الدِّينية لتَحديدِ أهدافه السِّياسيّة ورَسم مُحدِّداتِ سلوكه السِّياسي وطريقةِ العَمل والمَوقف تُجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسِّياسية والاقتصادية.
- التَّحالُفات والاصطفافاتُ السِّياسية: تُعتبر العَقيدةُ هي المُحدِّدُ الأوَّلُ للتَّحالفاتِ والاصطفافات السِّياسية في المنطقة، حيثُ نَجدُ الدُّوَلَ ذاتَ الأغلبيّة أو الأيديولوجيّة الشِّيعيّة تَنحو إلى طريق مُقاومة «إسرائيل»، استنادًا إلى رؤيتها التّاريخيّة للصِّراع بين الحقِّ والباطل، على حين أنَّ الدُّوَل ذاتَ الخلفيّة السُّنية كالإمارات والأردن ومصر فإنَّ مُحدِّدَ "المصلحة" أو ما يُسمَّى "فقهَ الواقع" أو "فقه النَّوازل" يَدفعُها للتَّفكيرِ من خلال المَعايير الماديّة، التي تُؤدِّي بالنِّهاية إلى تبرير إقامةِ علاقاتٍ مع «إسرائيل».

ثالثًا: الصِّراع (الإسلاميّ-الصهيونيّ) والصِّدامات عبر التّاريخ: نماذج من إيران ولبنان

تَحمل العلاقةُ بين المسلمينَ والكيان الصهيونيِّ تاريخًا مُتشابكًا من التوتُّر والصِّراع، ولا سيَّما لدى الطَّوائفِ ذاتِ العُمق الفكريِّ السِّياسي، وتجلَّتْ

هذه العلاقةُ في صورةِ سلسـلةٍ من الصِّدامات والمُواجَهاتِ التي حدثَت في إيران والعراق ولبنان.

1 - إيران

أ - الثورة الإسلامية (1979) وتُهمة «تصدير الثَّورة"

مثَّلَـتِ الثَّورةُ الإيرانيّةُ بقيادة آية اللـه الخُميني نقطةَ تحوُّلٍ في العلاقة مع إسرائيل، حيث اعتبرَ الإمامُ الخمينيُّ (قده) «إسرائيلَ" "غدّةً سرطانية» ، ودَعا إلى زَوالهـا. ومن ثَمَّ تبنَّتْ إيرانُ خطابًـا ثوريًّا يَدعو إلى دعم حركات التحرُّر في المنطقـة، بما فيها الفصائل الفلسـطينية المُسـلحة، وهذا ما اسـتخدمَتْه الصّهيونيّةُ في دعايتِها المُضادّة بأنْ ألصقَتْ تُهمةَ "تصدير الثَّورة" باعتبار أنَّها الوجهُ الثاني لعُملةِ دعمِ حركاتِ التحرُّرِ ومنظماتِ الثَّورة الفلسطينية.

ب - دعم حركات المقاومة الفلسطينية

انطلاقًا من أحكام الدُّستور الإيرانيِّ، الذي ينصُّ على دعم حركات التحرُّرِ وتَحريرِ المُسـتضعَفينَ، قدَّمَت إيـرانُ الدَّعمَ الماديَّ والعسـكريَّ لحركات المقاومة الفلسـطينية، مثل حماس والجهاد الإسلامي، وأسهمَتْ في تطوير قدراتهم القتالية.

ج - التوتُّر مع إسرائيل

شـهدَتِ العلاقةُ بـين إيران و»إسرائيـل» توتُّرًا متصاعـدًا، ابتداءً من

الأيــام الأولى للثَّورة الإيرانيــة (1979)، عندما ســيطرَتْ جماهيرُ الثَّورة بعد معركة قدَّموا فيها 22 شــهيدًا على السِّــفارة "الإسرائيلية" في طهران، وقامَت قيادةُ الثَّورة بتَسليم مقرِّ السِّفارة لمنظمة التَّحرير الفلسطينية، لتقومَ عليها أوَّلُ سِــفارة في التاريخ لفلســطين. ثم أســهمَتْ إيرانُ في تأسيس حزب الله وتدريبه ودَعمِه بكلِّ مــا يَلزم حتى تحرير الأرض عام 2000، وما تلا ذلك من انتصاراتٍ ضدَّ الكيــان الصهيونيِّ في لبنان، ثم أخذَتْ إيرانُ بيدِ المقاومة الفلسطينية الفتيّةِ (تحديدًا حركتي الجهاد وحماس)، وتواكبَ هذا معَ تخلِّي قيادة منظمة التَّحرير الفلسطينية عن خيار الكفاح المُسلَّحِ، الذي تسبَّبَ بإخراج جزءٍ كبيرٍ من حركة فتح من معادلة المقاومة المسلحة. وليس انتهاءً بقيام "إسرائيل" باغتيال عددٍ من العلماء النوويِّينَ الإيرانيِّــينَ، وتخريبِ وتأخير البرنامــج النَّووي والبرنامــج الصاروخيِّ الإيرانيَّيْنِ.

2 - لبنان

حزب الله: يُعتبر حزبُ الله من أبرز أمثلة الصِّراع (الإسلامي - الصهيوني)، حيث يُشكِّلُ التَّهديدَ الأمنيَّ الأكبر لـ"إسرائيل»، حسب معهد دراسات الأمن القَوميِّ وتوصياتِ مؤتمر هرتزيليا، وقد برزَ حزبُ الله كقوّةٍ إســلاميّةٍ رئيسيّةٍ في لبنان بعد الاجتياح الإسرائيليِّ للبنان عام 1982.

رابعًا: الصهيونية كحركة سياسية متطرِّفة: أهدافها ومخطَّطاتُها للسَّيطرة على «فلسطين»

تُعَدُّ الصهيونيّةُ حركةً سياسيّةً قوميّةً نشأت في أواخر القرن التاسع عشر، تَدعو إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، من أجل تعجيلِ قُدومِ المَسيح، وتُصنَّفُ كحركةٍ سياسيةٍ مُتطرِّفةٍ ذات أهدافٍ توسُّعيّةٍ ومُمارساتٍ عنصريةٍ.

1 - أهداف الصهيونية

أ. إقامة وطنٍ قوميٍّ لليَهود في فلسطين: سعَت الصهيونية منذُ نشأتِها لإنشاء دولةٍ يهوديّةٍ في فلسطين، مُعتبرةً إيّاها "أرضَ الميعاد" المُقدَّسةَ لليهود وفقًا للرِّوايات والدِّعايات الدِّينية. وتعاملَتْ مع وجود سكانٍ أصليِّينَ في فلسطين باعتبارهم "مشكلةً"، وسعَتْ إلى تَهجيرهم وطَردِهم من أرضِهم.

ب. جمعُ شتاتِ اليهود: دعَت الصهيونيّةُ إلى هجرة اليَهود من جميع أنحاءِ العالَمِ إلى فلسطين، بغضِّ النَّظرِ عن خلفيّاتهم الثَّقافيّة والاجتماعية. ورَوَّجَتْ لفكرة "العَودةِ إلى صهيون" كواجبٍ دينيٍّ وقوميٍّ على كلِّ يهوديّ.

ج. بناء دولة قويّة: سعَت الصّهيونيّةُ لبناء دولةٍ يهوديّةٍ قويّةٍ عسكريًّا واقتصاديًّا، قادرةٍ على الدِّفاع عن نفسها والتَّوسُّعِ في المنطقة. كما

تمَّ التَّركيزُ على بناء جيشٍ قويٍّ وتطوير اقتصادٍ مُتقدِّمٍ.

2 - مُخطَّطات الصهيونية للسَّيطرة على فلسطين

أ. الهجرة والاستيطان: تمَّ تشجيعُ هجرةِ اليهود إلى فلسطين بشكلٍ منظَّم، وتأسيسُ المُستوطنات اليهودية على الأراضي الفلسطينية، واستُخدمت أساليبُ مُختلفةٌ للاستيلاء على الأراضي، منها الشِّراء والمُصادرة والاستغلالُ القانونيُّ.

ب. التَّطهيرُ العِرقيُّ: تمَّ تَهجيرُ الفلسطينيِّينَ من أراضيهم ومُدنِهم وقُراهُم، وارتكابُ المَجازرِ ضدَّهُم لإرهابِهم ودَفعِهم للهجرة. ومن أبرزِ أمثلةِ التَّطهيرِ العِرقيِّ نكبةُ 1948، التي هُجِّرَ خلالَها أكثرُ من 700 ألف فلسطينيٍّ من أراضيهم.

ج. التَّحالُفاتُ الدَّولية: سعَتِ الصهيونيّةُ لبناء تحالُفاتٍ دوليّةٍ قويّة، خاصةً مع بريطانيا والولايات المتحدة، لدَعمِ مَشروعِها الاستيطانيّ. وحصلَتِ الصّهيونيّةُ على دعم سياسيٍّ وعسكريٍّ واقتصاديٍّ من هذه الدُّول التي كان يَهمُّها التَّخلُّصُ من الجاليات اليهودية الكبيرة في مجتمعاتِها.

د. الدِّعاية والتَّضليل الإعلاميّ: تمَّ استخدامُ الدِّعايةِ والتَّضليل الإعلاميِّ لتَشويهِ صورة الفلسطينيِّينَ وتَبريرِ المُمارسات

الصهيونية. كما تمَّ الترَّويجُ لفكرة أنَّ فلسطينَ "أرضٌ بلا شعبٍ لشَعبٍ بلا أرض».

خامسًا: العوامل الدِّينيّةُ والثَّقافية المؤثِّرة في الصِّراع (الإسلامي - الصهيوني)

يتأثَّر الصِّراعُ (الإسلاميُّ - الصهيونيُّ) بعواملَ مُتعدِّدةٍ، من أهمِّها العواملُ الدِّينيّةُ والثَّقافية، التي تُسهم في تأجيج هذا الصِّراع.

1 - في الفكر الإسلامي - الشِّيعي

أ. مفهوم المَهدويّة والانتظار: حيث يُؤمِنُ الشِّيعةُ بظُهورِ الإمام المَهديِّ في آخر الزَّمان لإقامة العدل، والخلاصِ من الظُّلم، كنهايةٍ للصِّراعِ التّاريخيِّ بينَ الحقِّ والباطل، وتَرى بعضُ التيّاراتِ الشِّيعيّة أنَّ ظهورَ الإمامِ المَهديِّ سوفَ يُصاحبُه صراعٌ نهائيٌّ مع قُوى الشَّرِّ والظُّلم، التي تمُثِّلُ "إسرائيل" إحداها في نظرِهم بالاستنادِ إلى تفسير الآياتِ الافتتاحيّةِ من سورة الإسراء.

ب. التَّفسير الشِّيعيّ للأحاديث النبوية: حيث تُشير بعضُ الأحاديث إلى صراعٍ دائمٍ بينَ المسلمينَ واليَهود. ويُفسِّرُ مُعظَمُ الشِّيعةِ هذه الأحاديثَ على أنَّها تُشير إلى صراعٍ مع "إسرائيل" في العَصر

الحاضر وأيِّ عصرٍ قادم.

ج. مفهوم الجهاد: حيثُ يُعَدُّ الجهادُ من المفاهيم المُهمّةِ في الإسلام، ويمُكِنُ أنْ يُفسَّرَ على أنَّه واجبٌ دينيٌّ للدِّفاعِ عن الإسلام والمسلمين. ويَرى معظمُ الشِّـيعةِ أنَّ مُقاومة "إسرائيل" تُعَدُّ من أولويات الجهادِ الواجب، تبعًا لسلوكِ الكيان الصهيونيِّ الذي يستضعِفُ طائفةً كبيرة (الفلسطينيين)، ويتعدَّى على المُقدَّساتِ الإسلامية.

2 - في الفكر الإسلامي – السُّني

يَرى المسـلمونَ السُّـنة كذلكَ أنَّ قتالَ اليهودِ هو مسـارٌ حتميٌّ في نهاية التاريـخ، لكنَّهـم يَعتبرونَ ذلك إحدى علامـاتِ يوم القيامـة، وليس مُقدِّمةً لتأسـيس دولةِ العَدل الإلهيِّ، وبالرَّغم من أن الدَّوافـع الدِّينيّةَ للجهاد خافتةٌ في السَّرديات الإسـلامية السُّـنية إلا أنَّ الدَّوافع الوطنيّـةَ تَفرضُ على بعض الجماعات السُّنية في الأراضي المُحتلّة (مثل أفغانستان والعراق وفلسطين) أن تَقومَ بعملٍ مُقاومٍ مُنظَّمٍ لمُقاومةِ الاحتلالِ المباشر، سواء الغربيّ (والأمريكي تحديدًا) أو «الإسرائيلي».

3 - في الفكر الصهيوني

أ. مفهوم أرض الميعاد: تُؤمِنُ الصهيونيّةُ بأنَّ فلسـطين هي «أرض

الميعاد" المَوعودةُ لليَهود وفقًا للتَّوراة "المُحرَّفة"، وأنَّ لهم حقًّا دينيًّا وتاريخيًّا في هذه الأرض، والتي عليها يظهر "المُشيَّح"، وهو ملـكٌ من سـلالة داوود في آخر الزَّمان، يأتي لتخليص الشَّـعب اليهوديِّ، وجمع شتاتهم، وإقامة مملكة "إسرائيل" الأبديّة، حيث يُعتقَدُ أنَّ المُشيَّح سوفَ يكونُ مَلِكًا عادلاً وقائدًا عسكريًّا مُنتصرًا، وأنَّه سوف يُحقِّقُ السَّلامَ والرَّخاءَ للشَّعب اليَهوديِّ.

ب. مفهوم الشَّـعب المُختار: تُؤمِنُ مُعظَمُ التَّيـارات الصّهيونية، بما فيها التَّيـارُ العلـمانيُّ "مبتدع فكـرة الصهيونية" بـأنَّ اليَهودَ هم «الشَّعبُ المُختار" من قِبَلِ الله، وأنَّ لهم مكانةً خاصّةً ومُتميِّزةً، أمّا المَنظومةُ العلمانيّةُ فهي تَرى أنَّ النَّقاءَ العِرقيَّ والتَّعرُّضَ للظُّروفِ القاسـية أنتجا شـعبًا ذا خصائـصَ جينيّةٍ فريدة، وهـذا المفهوم أدَّى إلى شعورٍ بالتفوُّق والاسـتعلاء على الشُّعوب الأخرى، من مختلف الدّيانات.

سادسًـا: العوامـل السِّياسـية والاسـتراتيجية في الـصِّراع (الإسلامي - الصهيوني)

أسهمَ صعودُ إيرانَ، كقوةٍ إقليميّةٍ بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، في ممارسة دورِها الحضاريِّ، الذي وضعَ مبادئَهُ ونظَّرَ له مُؤسِّسوها، مُتحدِّيةً

نفوذَ العالَمِ الغربيِّ، وعلى رأسه "إسرائيل"، فشكَّلَت «محورَ المقاومة" مع سورية وحزب الله في لبنان وفصائلَ مقاوَمة فلسطينية، ولاحقًا الحشد الشَّعبي في العراق، وأنصار الله في اليمن، إضافةً إلى عدّة تَنظيمات شعبيّة وفصائل في دول مختلفة حول العالم، جميعُ ذلك في مُواجهة ما سُمِّيَ «محور الاعتدال» الذي يَضمُّ بعضَ الدُّول العربية المُتحالفة مع الولايات المتَّحدة و»إسرائيل»، وهذا الوضعُ أدَّى إلى نشوبِ حروب ومواجَهات بالوكالة بين المَشروعَين، فشهدَت المنطقةُ صراعاتٍ وحروبًا بالوكالة بين «محور المقاومة» و"محور الاعتدال»، مثل الحرب في سورية والحرب في اليَمن، وسيُواجِهُ الصِّراعُ (الإسلامي-الصهيوني) في المستقبل عددًا من التَّحدِّيات السِّياسية والاستراتيجيّةِ التي ستُؤثِّرُ على مساره وتُحدِّدُ موازينَ القُوى في المنطقة، منها:

1 - برنامج إيران النَّووي

يُشكِّلُ برنامجُ إيرانَ النَّوويُّ أحدَ أهمِّ عواملِ القلقِ لإسرائيلَ ودُولِ المنطقة، حيث يُمكِنُ أنْ يُؤدِّيَ إلى تَغييرِ مَوازينِ القُوى بشكلٍ جذريٍّ، وقد يُتيحُ امتلاكُ إيرانَ للسِّلاحِ النَّوويِّ إلى رَدعِ "إسرائيل"، ودعمِ حلفاءِ إيرانَ في المنطقة بشكلٍ أكثر فعّالية، ومن المُرجّح أن يُؤدِّي امتلاكُ السِّلاحِ النَّوويِّ إلى لَجمِ الطُّموحاتِ الأمريكية في المنطقة.

2 - القضية الفلسطينية

تُعَدُّ القضيّةُ الفلسطينيّةُ القضيّةَ المحوريّةَ في الصِّراعِ (الإسلامي - الصهيوني)، وسوف تستمرُّ في توجيه مواقف الطَّرفين. وطالما استمرَّ الاحتلالُ الإسرائيليُّ، للأراضي الفلسطينية، فسوف تستمرُّ حركاتُ المقاومة في مُواجهة "إسرائيل" بدَعم من إيران، ويمُكنُ أن تُؤثِّرَ التَّطوُّراتُ السِّياسيّةُ في فلسطين، مثل حلِّ الدَّولتَين أو قيام دولةٍ فلسطينيّةٍ مُستقلّة، على طبيعةِ الصِّراع (الإسلامي - الصهيوني). إلا أنَّ ذلك مُستبعَدٌ في موضوع حلِّ الدَّولتَين بسببِ قناعةِ إيرانَ ومحورِها أنَّ دولةً تَنتجُ عن حلِّ الدَّولتَين ستكونُ مَقصوصةَ الجَناحِ بلا فائدة. وبسبب المَفهومِ العقديِّ الشِّيعيِّ الذي لا يَعترِفُ إلا بكامل فلسطين التّاريخية كدَولةٍ للفلسطينيين.

3 - التَّدخُّلات الخارجية

تُسهِمُ التدخُّلاتُ الخارجيّةُ في المنطقة، خاصةً من قِبَلِ الولاياتِ المتَّحدة وروسيا، في تأجيجِ الصِّراعِ (الإسلامي - الصهيوني). فالولاياتُ المتَّحدة تَدعَمُ "إسرائيل" عسكريًّا وسياسيًّا، كما تدعم الجماعات المسلحة في سورية، على حين تَدعَمُ روسيا نسبيًّا إيرانَ، كما تُؤدِّي التدخُّلاتُ الخارجيّةُ إلى تَعقيد الصِّراعِ (الإسلامي - الصهيوني)، وصعوبةِ إيجاد حلولٍ سلميّةٍ له، حيث يُشكِّلُ الصِّراعُ (الإسلامي - الصهيوني) ساحةً للتَّنافُسِ الدَّوليِّ بينَ القُوى العُظمى، التي تَسعى لتحقيق مصالحِها في المنطقة.

سابعًا: مستقبل التشيُّع في صراع الإسلام والصهيونية

ليس التشـيُّعُ قـراءةً فقهيّةً ضمنَ مجموعةٍ من المذاهب الإسـلامية، ولا جماعـةً ذاتَ خصائـصَ اجتماعيّـةٍ ومظاهرَ شـكليّةٍ وطقوسـيّة، ولكنَّه في مَقولاته وشـعاراته ومُدوَّناته وسـلوكٍ قادتـه مُوقفٌ عقائـديٌّ وأخلاقيٌّ من الوجـود والإنسـان والطَّبيعة، أو هو الإسـلامُ لله في كلِّ شـؤون الحياة، بما فيها (وأهمها) الجانبُ السِّياسيُّ والثَّقافي، وفي عالم التَّزاحُم والكَثرة، وتولُّد الأفكار ونقائضِها، والصِّراعِ الدّائم على الموارد المحدودة، لطالَما كان التشيُّع بمفهومِه الأوسَعِ السِّياسيِّ والأخلاقيِّ هو رأسُ الحربةِ في الثَّورات الإسلاميّةِ والعَمود الفقريّ للمَشـاريع الحضارية الأصيلة، التي تَنشد العدالةَ للإنسانية والحقَّ للحقِّ.

تمتَّـعَ الفكرُ الشِّـيعيُّ بموانـعَ ذاتيّةٍ من الاخـتراق العلـمانيِّ والحداثيِّ الأوروبيّ، ذلـك أنَّـه يَرى أنَّ أيَّ سـلطةٍ لا تَنبـعُ من الدِّين فهي سـلطةٌ غيرُ شرعية، كما حافظَ علماؤُه وحوزتُه الدِّينيةُ على التَّفسـيرِ المُستقيمِ لنُصوصِه الدِّينيّـة، يَقول المُـؤرِّخُ البريطانيُّ (توبي دودج) في كتابـه "اختراع العراق": "كان البريطانيون يَنظرون للمُجتهدينَ على أنَّهم جماعةٌ تمتلكُ فلسفةً 'مضادّةً للتقدُّم' بكلِّ أنواعه...سُلطتُهم مبنيّةٌ بالكامل على معرفة تفاصيل دينيّةٍ عميقة تَصل الى حـدِّ 'التَّهافُت'، وبنفس الوقت فإنَّهم مُحـرِّضٌ دائمٌ على الكراهيّةِ والعِصيان للبريطانيِّين"، هذا، في مقابل مذاهبَ أخرى تمَّت هندستُها لإبقاء

الدِّينِ داخلَ إطار المُمارَسة الفَرديّة، وزُرِعَت فيها بذورٌ على شاكلة «عقيدة الجبر» و"عقيدة وجوب طاعة الحاكم إلا أنْ يَظهر منه كفرٌ بواح"، وبالطَّبع هذه مساحةٌ شاسعةٌ تُبيحُ للدَّولة أنْ تكونَ صاحبةَ الرَّأي الأوَّل والأخير في عَلمنة المجتمع، ولاحقًا في "تأويل" الدِّين.

لذلك كان الشِّيعةُ الأقدرَ والأسرعَ في الخروج من أسر بيروقراطيّة الدَّولة الحَديثة، واعتبارات العلاقات الدَّولية، فانطلقوا بعد فَتوى المَرجعيّة، وأنجزوا في العراق عسكريًّا في ٥ أعوام ما قدَّرَتْ أعتى جيوش العالَم أنَّه يَحتاج إلى ٢٠ عامًا. وظهرَ صِدقُهُم قولاً وعملاً في نُصرة شعب فلسطين المُستضعَف المَظلوم، غير عابئينَ بمئات رسائل التَّهديد والوَعيد والعُقوبات الاقتصادية والقَصف والتَّهويل والتَّسقيط الإعلامي.

بعد الاستقلال الشَّكليِّ الذي حصلَت عليه الدُّولُ العربية والإسلاميّةُ تحوَّلَت الحالةُ الدِّينيّةُ لأتباع مذهب أهلِ البيت إلى وضعيّة "القبليّة الدِّينية"، ويُقصَدُ بها طبيعةُ ارتباط الفرد الشِّيعيِّ بمَرجع التَّقليد أو الوكلاء، كما هو الحالُ الآنَ بالعراق، وفي ظلِّ عدم وجود أيِّ رعاية من السُّلطة المَركزيّة برزَت ثلاثُ قوًى اجتماعية مُؤثِّرة على المجتمع الشِّيعيّ:

- القُوى الأولى: الطَّبقة المُتوسِّطة والعُليا من كبار التُّجار: ممَّن يَمتلكونَ القوّةَ الاقتصاديّةَ، وفي بعض الأحيان النُّفوذَ السِّياسيَّ في الدَّولة، يُشار إليهم في إيران باسم "البازار"، وكان له الدَّورُ

الأهــمُّ في اللَّحظــات الحاســمة لانتصــار الثَّورة الإســلامية في إيران، أما دَورُهم في العراق فكانَ مَحدودًا جدًّا بســبب المُلاحَقةِ والإعداماتِ من السُّلطات.

- القــوى الثانية: شــيخ القَبيلة: بمــا يمَتلكُه من سَــطوة مَنحَتْها له القوانين والأعرافُ العشائرية، وهي الأكثر بروزًا في البقاع اللُّبنانيِّ واليمنِ والعراق، وفي الأخير تَضاعفت هذه السَّطوةُ بعد السُّقوط في ٢٠٠٣، وظهــورِ هذه القُــوى كمَلجأٍ وحيدٍ أمــامَ أبناء القبيلة للحمايــة في ظلِّ غيابِ الدَّولةِ ومُؤسَّســاتها. ثــم راكمَت القبيلةُ أطنانًا من السِّــلاحِ الخفيف والمتوســط، الذي ليس من السَّــهل تَفعيلُه في موارد النِّزاعِ إلا بعد إجراءاتٍ بروتوكولية يتولاها "شيخ القَبيلة".
- القوى الثالثة: المَرجعيّةُ الدِّينيّةُ: وهي القُوى الحاكمةُ على ما قَبلَها بمــا لها من ارتباطٍ روحيٍّ نابعٍ من مقــامِ الوكالةِ العامّة عن الإمام المَعصوم، ولِما لها من استقلالٍ ماديٍّ عن السُّلطات المَركزيّة، في الوقت الذي لا تمتلك فيه أيَّ أصولٍ ماديّةٍ يمُكنُ مُساوَمتُها عليها، فملكيّةُ الثَّروةِ للمُقلدِّينَ، ولا يأتيها إلا حقوقٌ شرعيّةٌ سنويّةٌ، وهذه القوّةُ مثَّلَتِ العقبةَ الأســاسَ أمامَ مشاريعِ اختراقٍ من الاستعمار، ولاحقًا من وكلائِه من السُّلطات، حيث كان من الصُّعوبة بمكان

إحداثُ خَرقٍ في هــذه الكُتلةِ الصُّلبةِ، فمَنصــبُ الوَكالةِ وكرسيُّ الإفتــاءِ والقَضــاءِ لا يَرقى إليه من علماء الدِّيــن إلا مَنِ اجتمعَتْ فيــه صفاتُ الفقاهةِ بشَــهادةِ أقرانــه، إضافةً إلى القَبولِ الشَّــعبيِّ بالاحتكامِ إلى رأيِه ودَفعِ الحُقوقِ الشَّرعيّةِ إليه.

1 - الشِّيعة بعدَ الطوفان

يمُثِّلُ الإســلامُ الأصيل التَّهديــدَ الوجوديَّ الأوَّلَ للحضــارة الغربية؛ لما يَحتويه من أبعاد معنويــة وأخلاقية تَجعل من الصَّعبِ تَدجينَه ضمنَ منظومة الهَيمنة الأمريكية الغربية، لذلك، عملَ الاستعمارُ على إفراغ العالَم الإسلاميِّ من كلِّ مُقوِّمات النُّهوضِ الحضاريِّ أو الاســتقلال. ومثَّلَت الثَّورةُ الإسلاميّةُ في إيرانَ المُنعطَفَ الأخطرَ في هَيمنةِ الاســتكبارِ الغَربيِّ في القرن العشرين، ولم يتوقَّــفْ ذلك على تَحرير مــوارد إيرانَ الطَّبيعيّةِ من احتكار الاســتعمار، بل بســببِ استلهام كثيرٍ من حركات التَّحرُّرِ الإسلاميّةِ تجربةَ الإمامِ الخُمينيِّ وتَبنِّيها أدبيّاتِ تَحدِّي الغَرب، (مثل: الحركة الإسلامية في السُّودان والجهاد الإسلامي في فلسطين المحتلة ...).

وبعدَ أن أُعلِنَ رســميًّا عن تأســيسِ "محــور المقاومة" وبُــروزِ الفصائلِ الشَّــعبية المســلَّحة، وســطوعِ نماذجَ تحرُّريةٍ إســلامية، قدَّمَت إيرانُ خطابًا وأدبياتٍ مُختلفةً عــن الأنظمة الملكية والجمهوريــة العلمانية والجماعات

القومية واليسارية، ومنذُ ذلك الحينِ سقطَت جميعُ المُخطَّطات الغربيّةِ لإعادة الهَيمنةِ الأمريكيّةِ على غرب آسيا من خلال خطَطِ الشَّرقِ الأوسطِ الجديدِ وصَفقةِ القَرنِ، وتزعزعَ استحكامُ السَّيطرة الأمريكيةِ على مُقدَّراتِ وضمائر الشُّعوب.

واستجابةً لهذا التحدِّي استنفدَتِ الولاياتُ المتَّحدةُ كلَّ الحِيَلِ من أجل إخضاعِ هذا الماردِ المُتمرِّدِ على حساباتِ البراغماتية والمَصلحة، والعَصِيِّ على الاستغفالِ والاستدراجِ، فلم تُفلِحْ محاولاتُ الإغراء بالمال أو السُّلطة، ولم تُفلِحْ حِيَلُ "فرِّقْ تَسُدْ"، كما لم تُفلِحِ الإجراءاتُ العِقابيّةُ مثل: الحصار الاقتصادي - الحرب النّاعمة - الاغتيالات - الاحتلال المباشر، إلا أنَّه بَقِيَتْ مُقارَبةٌ واحدةٌ فقط أثبتَتْ جَدواها عند العدوِّ، فكلَّفَتْ "محورَ المقاومة" آلافَ الأرواحِ ومليـاراتِ الدُّولارات، وانهارَتِ الصُّورةُ الذِّهنيّةُ في عقول وقلوب المسلمين، ألا وهو خيارُ الفِتنةِ الطّائفيّةِ الدَّاخليّةِ (السُّنّيّة - الشِّيعية)، والحرب الكونية التي سعَّرَها الغربُ وعملاؤُه في الخليج.

إلى أن جاءَ "طوفان الأقصى" فكان اللاّعبَ الرَّئيسيَّ فيها حركةٌ سُنيّةٌ تتحرَّكُ تحت غطاء قضيّةٍ جامعة (فلسطين)، فكان ذلك مَدعاةً لإعادة التئام جناحَيِ الأُمّةِ الإسلامية -السُّنة والشِّيعة- واجتماعِها على خيار "الإسلام المُقاوِمِ" المُبارِزِ للاستكبارِ العالميِّ والجُنوحِ لاختيار خيارِ المُقاوَمةِ في التَّعامُلِ مع الاستبداد الداخلي أو الهَيمنةِ الغربية.

2 - التشيُّع والصهيونية عبر التاريخ متلازمة «قوس الأزمات»

أثبتَـتِ التَّجربـةُ خلال العقدِ الأخـيرِ أنَّ مبدأ ما أسـمَتْهُ الولاياتُ المتَّحدةُ «القيـادةَ من الخَلف وتَقليص الوجود المباشر في المنطقة" لم يُفلِحْ في ردعِ ما تُسـمِّيه واشنطن محورَ (موسـكو - بكين – طهران) الاستراتيجي المعادي لها، وذلك على النِّطاق الجغرافيِّ الذي حدَّدَه (بريجنسـكي)، وأيَّدَه في ذلك مُنظِّرٌ أمريكيٌّ آخرُ هو (هنري كيسنجر)، الذي كان يُعرِّفُ وقتَها «قوسَ الأزمات» بأنَّه: المنطقةُ الشّاسـعةُ التي تمتدُّ من أفغانسـتان وباكستان وإيران في آسيا، وتَشمل دولَ شمال أفريقيا العربية ومصر والجزيرة العربية حتى تصل إلى إثيوبيا). وفي بعض مراحل إدارة بوش الابن تمَّتِ الإشارةُ إلى مفهوم «قوس الأزمات» باسمٍ آخرَ هو "الشَّرق الأوسط الكبير" دون تَغييراتٍ جوهريّةٍ في السِّياق الجيوسياسيِّ.

في التَّفكـير الأمريكيِّ فـإنَّ منطقةَ "قـوس الأزمات" منطقةٌ هشّـةٌ مليئةٌ بالصِّراعـات العرقيّـةِ والدِّينيّـةِ والحُدوديـة، التي هي في كثـير من الأحيان صراعاتٌ مُفتعَلةٌ إمّا من خلال اسـتراتيجيّةِ "شـدِّ الأطـراف" والقَطع[1] التي تتَّبعُها أجهزةُ الاسـتخبارات الغربية، أو على أسـاسِ الألغـامِ الموقوتة التي زرعَها الاسـتعمارُ قبلَ خروجِه مـن المنطقة، من خلال رسـمِ حدود الدُّولِ

1 - للمزيد عن استراتيجية شدِّ الأطراف لتعزيز النزعات الانفصالية، راجع: وليد خالد أحمد: استراتيجيات شـد الأطراف: مخططات إسرائيل في تفتيت الأقطار العربية. (مقال على الانترنت)

الوطنيّة بطرق مُثيرة للجَدل، تَحمل في طيّاتها آليات انفجارها الدّاخليِّ، وتَرى الإداراتُ الأمريكيةُ هذه الدُّولَ بشكل عامٍّ دولاً غيرَ ديمقراطية، وبُنى الدَّولة فيها بُنًى تقليدية وغير «حداثية»، ولكنَّها بسبب ثرواتها الهائلة -خاصّةً النِّفط- وموقعِها الجيوسياسيِّ المُهيمِن على أهمِّ طرقِ التِّجارة والملاحة أصبحَت بحسب تعبير (ماكيندر): «قلب العالَم»، وعليه، فلا بدَّ لأيِّ قوّةٍ عُظمى تُريدُ الهَيمنةَ على النِّظام الدَّوليِّ من السَّيطرة عليها، وهو ما عكفَتْ عليه الإداراتُ الأمريكية من خلال مبدأ "إدارة حالة الصِّراع" داخلَ هذه البلدان ، أو ما يُسمَّى الآنَ -في أدبيات مراكز التَّفكر الأمريكية- نظرية «توازن الضَّعف»، أي الوصول إلى حالة اللامُنتصِر / اللامهزوم، فتَفرض على القوى الإقليمية اللُّجوءَ إلى تسوية النِّزاعات تحتَ إشراف الولايات المتَّحدة.

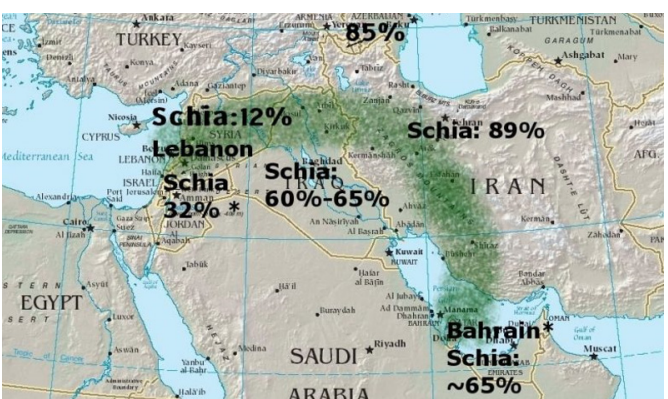

بعدَ نجاحِ الثَّورة الإسـلامية، بزغَ وسـطَ قوسِ الأزماتِ ماردٌ سُـمِّيَ "محور المقاومة"، يَرتكز على ظهيرٍ شَـعبيٍّ يَنتشرُ في منطقة مـا يُعرَفُ في الأدبيّاتِ الأمريكية "الهلال الشِّيعي"، ويتَّخذُ من شـعارات الثَّورة الحُسينيّة والإسلامِ الأصيلِ مُنطلَقًا نحو تأسيس مشروعٍ حضاريٍّ جديد، وهذا مثَّلَ الخطرَ الأكبرَ على الاسـتراتيجيّةِ الأمريكيّةِ في المنطقة[1]، ولـذا أخذَتِ الولاياتُ المتَّحدةُ الأمريكيّةُ على عاتقِها خلـقَ حالةٍ من العَداءِ والعُزلةِ لضمان عدمِ امتداد هذا المَشروع، وذلك من خلال أدواتها الإعلامية والثَّقافية، سواء المباشرة أو عبر وُكلائِها في المنطقة.

ثامنًا: توقُّعاتُ منهجيّةِ الإدارة الأمريكية الجمهورية للتَّعامل مع صعود التشيُّع

يتمحورُ تفكيرُها بأنَّ القوّةَ العسـكريّةَ هي العاملُ الحاسـمُ في التَّوازُناتِ الدَّولية[2]، مَدفوعةً بلوبي مَصالحَ يُسـمَّى عُرفًا باسـم «المجمع العسـكري الصناعي»، وبالدَّرجة الثانية تُعطي أهميّةً للعواملِ الاقتصادية في الهَيمنة على موارد العالم، لذلك تَضع في أولويّتِها المُواجَهةَ مع اليابان والصِّين والاتِّحاد

1 - روبرت دريفوس: رهينة بقبضة الخميني، ص116.

2 - خليفة عبد السلام الشاوش: الإرهاب والعلاقات العربية الغربية، ص226.

الأوروبيِّ كعَـدوٍّ أوَّلَ تتعامَلُ معَه من خلال توازُنِ الرَّدعِ، أما في منطقة قوس الأزمات فتُحاول تَطبيقَ مبدأ «الفوضى الخلاّقة» من خلال إضعافِ (وإفقار) الحكوماتِ المركزية في هذه المنطقة، وبدرجةٍ ثانية تَطبيق برامجَ تَفتيتِ الدُّولِ القائمة (نموذج انفصال: كردســتان العراق - جنوب السودان – شمال وشرق سوريا - جنوب اليمن - .. إلخ)[1]، باعتقاد أنَّها قادرةٌ على خَلقِ أنظمةٍ سياسيّةٍ جديدة في المنطقة، من خــلال «العلاج بالصَّدمة»، فلْتَنتُجْ دولٌ صغيرةٌ ذاتُ أنظمةٍ أكثرَ «عقلانية» / براغماتية ومتَّسِــقة مع النِّظام العالميِّ حســب الرُّؤيةِ الأمريكية[2].

1 - آليات تَسخين مناطق الصِّراعات الطّائفية الكامنة حول الهلال الشِّيعي

يُتوقَّعُ أن يتمَّ التَّعامُلُ مع الكيانات غيرِ الدَّولية Non-State Actors تحتَ الإدارة والإشراف المباشر للولايات المتَّحدة الأمريكية في مناطق الصِّراعات، وتَحفيزُ كلِّ طرفٍ في "المحور السُّــني" على حِدةٍ لمُهاجمةِ الوجودِ الشِّيعيِّ بشكلٍ مُختلِفٍ، وهذا يَتطابقُ مع استشراف أوباما لمُستقبل الصِّراعِ المَذهبيِّ في 2011، الذي يقــول فيه: "وغَنِيٌّ عن القــول إنَّ الولايات

1 - خضر هارون: "هل الشرق الأوسط على مفترق طرق؟"، ص140.

2 - George Lenczowski, "The Arc of Crisis: its Central Sector", p.1.

المتَّحدة دعمَت السُّعوديةَ طويلاً في مواجهة إيران، على الرغم من إدراكها للإيحاءات المَذهبيّة الواضحة لنزاعِها الإقليميّ، وقد تكون الولاياتُ المتَّحدةُ راضيةً عن أيِّ اقتتالٍ يَدور بينَ مُتطرِّفي (السُّنة والشِّيعة)، ما دامَتْ أسعارُ النِّفط تَنخفضُ ومَبيعاتُ الأسلحة تَرتفع."[1]. وعليه يُتوقَّعُ أن تتولىَّ الولاياتُ المتَّحدة تَسخينَ الجبهات الطّائفيّة مع «الهلال الشِّيعيّ» من خلال مناطقِ التَّماسِ العِرقيّة والمَذهبيّة.

تاسعًا: المُقارَبات المُقترَحة للأزمة

1 - تقرير حالة

أ - عناصر القوّة

هنالكَ خصائصُ كامنةٌ في المذهبِ الشِّيعيِّ، يُعتقَدُ أنها تمُثِّلُ سِرَّ قوّته وانتصارِ أتباعه، وعلى رأسِها:

1. «التَّقيّة"، وبالاصطلاح الحديث هي القُدرة على الدَّعوة والحركة والفِعل والتَّواصُل في غطاءٍ سِرِّيٍّ، وهو سِرُّ نجاحِ الاستراتيجيّاتِ العسكريّةِ المُرتكِزةِ على البُعدِ الأمنيّ.

1 - أحمد سعيد نوفل وآخرون: التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، ص.ص. 131 - 132.

2. القُـدرة على التأثـير و"التَّحريك العاطفيّ» بدايـةً من المجالس الزَّينبيّـة وسـيرة زيـن العابدين (عليه السـلام)، مُـرورًا بمَرثيّات دعبل الخُزاعي بأمر الرِّضا (عليه السلام)، وإلى وقتنا الحاليِّ، لا زالَـت العاطفةُ هي أحد أهمِّ أدوات خلق الوَعي الشّـيعيِّ الذّاتيّ (المجالس الحسينية، اللَّطميات، ..إلخ)، وبالمصطلح الحديث هي القوة الإعلامية.
3. التمكُّـن في "العلـوم العَقليـة" (المنطـق، الفلسـفة، الأصول، علـم الكلام، إلخ) وهي التي سـاعدَتْ على التَّمـدُّد الكَمِّيّ في المُجتمعات وصياغـة الحلول المُجتمعيّـة والتَّجديد الدّائم في الفقه وفي الخطاب العَقائديّ. وأصبحَت مُؤلَّفاتُ علماء مَذهب أهل البَيت هي المَرجعُ للردِّ على الشُّبهات المُستحدَثة، سواء منها المادّية الغربية أو الفَلسفات الشَّرقية.
4. الطّاقـاتُ والقُدرات الاقتصاديّة الجيِّدة، والسَّـيطرةُ على الموارد المالية النِّفطيّة والغازيّة في المنطقة.
5. السَّيطرة الجيوستراتيجية على ممرّات الطّاقة والمَمرّات التِّجارية في المنطقة، التي تُعطي تأثيراً سياسيًّا استراتيجيًّا.
6. الحضور الشَّعبي والسِّـياسي الدَّولي بالسِّياسة الحَكيمة والقيادة الشُّجاعة.

7. السُّـمعة الأخلاقيّةُ الحسـنةُ والاحتـكامُ للقِيَم الإنسـانيّةِ النَّبيلة والتَّفكير المَنطقيِّ العَقلانيّ.
8. المَنظومـة الفكرية الإلهيّـةُ الحَقّة بما تَحتوي عـلى (رؤية كونيّة مُبرهنة عَقلاً، ومَنظومة أخلاقيّة فلسفيّة من التُّراث الإماميِّ الرِّوائيِّ أو الفَلسفيّ، والعُمق العاطفيّ للمذهب (عاشوراء الإمام الحسين (ع))، والعُمق الرُّوحانيّ في العِرفان الشِّيعي.
9. السِّـمات الفردية للشَّـخصية الشِّـيعيّة التي تتميَّزُ بأنَّها شخصيّةٌ مُقاومةٌ واستشهاديّةٌ وأخلاقيّةٌ، كما أنَّ سماتها القَبليّة جعلَتْها غيرَ مَمسوخة بالمَدنيّة الحَديثة.

ب - التَّهديدات ونقاط الضَّعف

1. من المُتوقَّع أن يُؤدِّي اسـتقرارُ المجتمعات الشِّـيعيّة في جغرافيا مُحـدَّدة إلى حصول التَّفـكُّك القَبـليِّ detribalization وذوبان القَبليّـة في المُجتمع، كناتـج عن التَّجانُس البـشريِّ الحضاريِّ المـاديِّ عضَّدَهُ ذوبـانُ الفَواصِل القَبليّـة والعِرقيّة بعدَ اسـتعادة السُّلطة المَركزيّة لقُوّتها، ونزعُ السِّلاح من القُوى الشَّعبية.
2. عدم التَّحلِّي بالمُرونـة الكافية للانتقال من نمـط الصِّراع الأمنيّ / العَسـكريِّ إلى نمـط العمل الثَّقـافيِّ الفكـريّ الفَنيّ، وضعفُ القُدرة على التأثير بأسـلوب الحَرب النّاعمـة، وعدم القُدرة على

استبدال كوادرَ جديدةٍ ودماءٍ جديدةٍ لها نمطٌ وطريقةُ تَفكيرٍ مناسبة لـلتحدِّيات الرّاهنة.

3. ضعفُ الاهتـمام بالمَشروعـات الفكريّـة المُتفرِّعة مـن الرُّؤية الاسـلامية، وضعفُ الدَّعم الماديِّ المُقدَّم لها للخروج بصياغة فكرية مُنظَّمة. (الرُّؤية الكونية – الفلسـفة الإسـلامية - الاقتصاد الإسـلامي - نمـوذج الحكم - شـكل الدَّولة - حلول المشـاكل المجتمعية الحالية - ... إلخ).
4. ضعفُ الاهتمام بتَعزيز الإنتاج الفنيِّ (وثائقي / مسلسلات / أفلام /.. إلـخ) لدُول محور المُقاوَمة وعـدم تَطويره من ناحية الكيف، وعدم الاهتمام بتَمويل جيِّد لقطاعات الأعمال الفنيّة.
5. ضعـفُ الدَّعم المـاديِّ للإنتاج العلمـيِّ باللُّغة العربيـة للتَّنظير لفلسفة وكيفيّة إدارة الدَّولة من منظور إسلاميٍّ، وَفقًا لمذهب أهل البيت عليهم السَّـلام، (مبادئ: السِّـيادة الشَّـعبية الدِّينية – ولاية الفقيه – البنك اللاربوي – الفلسـفة والاقتصاد الإسـلاميَّين - .. إلخ)، وضعفُ مستوى مراكز الدِّراسـات الاجتماعية والسِّياسية بسبب عدم قدرتها على اجتذاب النُّخَب وتَفريغها.
6. ضعفُ مسـتوى البرامج التَّدريبيـة المُتخصِّصة في مجال العلوم الاجتماعية والثَّقافية والسِّياسية.

عاشرًا: الإجراءات المُقترَحة

1 - الجانب الفوقي/المعنوي

إعدادُ النُّخَـبِ الثَّورية والمُثقَّفة من خلال المشـاريع الإعلاميّة والبَحثيّة التي تَهدفُ إلى تَغليب الإسلام على أيِّ هويّة أو انتماء أو مصلحة، ولا سيَّما الهوياتُ الجاهليّةُ، الحديثُ منها والقَديم، مثل العشائريّة والوَطنيّة والقوميّة، وكذلك تَفكيـكُ كلِّ انتماء لغير اللـه مثل الأحزاب والحَـركات ذات الفكر السِّياسيِّ الماديِّ اليَسـاريِّ أو اللِّيبراليّ، وكذلك المَصلحةُ الماديّةُ. والتَّنظيرُ والتَّطبيقُ لنظريّات الإسلام الأصيل في شتّى مجالات الحياة، وفي سبيل ذلك يُمكِنُ ذكرُ عدّة خطوات عمليّة:

أ - دَعم التَّعليم الحَوزيِّ المَحليّ والخارجيّ

ولا سـيَّما في البلدان الإفريقية، فهي شـعوبٌ ذاتُ عُمق حضاريٍّ، ولم تَستسغِ النُّسخةَ الوهابيّةَ من الإسلام، وتَميل بطَبعها إلى التَّصوُّف والخصائص العَشـائريّة. وإذا كان الأئمّـةُ عليهم السَّـلام عمدوا إلى الإنفـاق على شراء العَبيد من المؤمنين وإعتاقهم، فإنْ كان بمَقدور محور المُقاومة كسرُ الحَلقة المُفرَغة للعُبوديّة الاقتصاديّة والاجتماعية من خلال برامج منَح التَّعليم الدِّينيِّ والحَـوزي، وتَنمية هذه الأقليّات (كجماعات) علميًّا وعمليًّا من أجل العمل بتَناغُـم كامتداد لمحـور المقاومة في بلدانها. فقد تُضاهـي هذه البرامجُ في الوجوب درجةً واجبَ نُصرة المُستضعَفينَ بالسّلاح والمالِ والنَّهي عن المُنكَر

وحربِ الطَّاغوت ورَفع الظُّلم عن عباد الله.

ب - الامتداد الخارجيّ

الاتِّصـالُ بكلِّ حركات التحرُّر في الدُّول الإفريقية والآسـيوية، ومحاولةُ إعـادة الصَّدارة الجيوسـتراتيجيّة لمحـور المُقاوَمة، من خـلال نقلِ الأفراد والجماعاتِ المُتقاطعة فكريًّا وسياسـيًّا مع محور المقاومة من دائرة الفئاتِ المُهمَّشة إلى الدَّوائرِ الفاعلة في كلِّ بلدٍ بالاستفادة من نظامه وظروفه الدّاخليّة وعقيدتـه. وذلك عن طريق مجموعةٍ من المشـاريع العَمليّة -تأتي تَفاصيلُها لاحقًا-، تَرتكزُ بالأساس على عدّة آليات:

1. تعزيز علميّ: الوصول بالأفراد أصحابِ القابليّة إلى أعلى درجاتٍ مُمكنة من التَّحصيلِ الحَوزيّ والأكاديميّ، عن طريق برامجِ المِنَحِ الدِّراسيّة، من أجل إكسـابهم القُدرةَ على النُّفوذ في مواقعِ التأثير ضمن أعلى درجاتِ هرمِ السُّلطة في دُوَلِهم.
2. تعزيز سُـكّاني: التأثـير الدِّيموغرافيّ الإيجابيّ عـلى كلِّ الأفراد المُؤهَّلينَ من هذه الأقلِّيـة لنَقلهم إلى عواصم وحَواضر بلدانهم لاكتسابِ السّـنخيّة اللازمة للنُّفوذ والاندماج والتأثير على أعلى هرمِ السُّلطة، عن طريق برامجِ القَرض الحَسن.
3. تعزيز مهنيّ: عن طريق تدريبِ وتمويلِ تَحويلِ مَن لديهم القابليّةُ مـن المِهَـنِ التَّقليديّـةِ إلى المِهَنِ الفنيّـة / الثَّقافيّة / السِّياسـية /

الإعلاميّة. (تصوير / مونتاج / طباعة / نشر وتوزيع / نقد فنيّ / إضاءة وتَصوير / إنتاج فنيّ وسينمائي / برمجة / تسويق / صحافة /.. إلخ) عن طريق برامج التَّدريب المِهنيِّ وبرامجِ القَرض الحَسن.

2 - الجانب الماديّ والبنية التَّحتية

باتَتِ القناعةُ أكثرَ رُسوخًا أنَّه لا مكانَ للحقِّ وأتباعِه تحتَ الشَّمسِ إلا بالقوّة، بعد ظهورِ زَيفِ قِيَمِ العَدالةِ والقانون والحضارة الغربية، وضعفِ حكوماتِ العالَمِ الثّالث، وأنَّه لا بَديلَ عن اكتسابِ القوّةِ، قوّةِ الحقِّ وقوّةِ الإعلامِ وقوّةِ الأمرِ الواقع، وذلك من خلال:

أ - إعداد الهيئات الشَّعبية

لمكافحة الجماعات المُنحرفة، مثل مُدَّعي المَهدويّة والسِّفارة والمَظاهر الأخلاقية المُنحرفة في المجتمع، أو مُروِّجي القِيَمِ المُضافة على الإسلام الأصيل من قبيل «التشيُّع الحداثي» و«الإسلام اللِّيبرالي» و«الإسلام الوَطني"!

ب - تقوية العلاقات والعُقد المُجتمعيّة

التوسُّع في مشروعات (الأوقاف الخيريّة المَحليّة - الحَوزات - المساجد) في كلِّ حيٍّ في المجتمعات المَحليّة، بهدفِ الاستقلالِ عن الدَّولة المَركزيّة الخاضعةِ بحُكم المُسانَخة لسَيطرة النِّظامِ العالميّ، وهذه الشَّبكات

الاجتماعيّـةُ لا تَعمل ضدَّ الدَّولة، وإنَّمـا هي البَديلُ الآمِنُ عـن دَورِ الدَّولة الذي انسـحبَت منه أو لن تكونَ قادرةً على أدائه في أوقات الأزَمات؛ فالدَّولة الحَديثة في بُنيتِها الحاليّة لن تَصمُدَ أمامَ أيِّ زِلزالٍ إقليميٍّ.

ج - العمل على تقنين وتوسيع امتلاك السِّلاح

وشرعَنةُ بقاءِ السِّـلاحِ بيـدِ المُواطنينَ مَعمولٌ بـه في كلِّ الدُّول الحديثة، ومَنصوصٌ عليه كحقٍّ في دستور الولايات المتَّحدة الأمريكية، منعًا من تغوُّل الدَّولـة وأجهزتِها عـلى مُقدَّراتِ وحريّة الشَّـعب، فنَموذجُ «احتـكار الدَّولة القُوّة» ليس هو النَّموذج الوَحيد المَعمول به في دول العالَم، ولا يَصلُحُ لدُولٍ ومُجتمعاتٍ مُهدَّدةٍ بالغَزوِ الخارجي.

د - تحرير المَردة المَقموعة

والمَـردةُ المَقموعةُ هي الطّاقـات الكامنة لدى أتباعِ مذهـبِ أهلِ البَيت المَقموعينَ في (البحرين - باكسـتان - نيجيريا - أذربيجان - كشـمير)، الذين يجبُ العملُ على تحريرِهم من الاستبداد العالَميِّ الذي يُمارَسُ عليهم باسم العلمانية، ثم الاسـتبداد الرَّجعي الآخر باسم الإسـلام [الأموي]، وذلك من خلالِ العملِ التَّنظيميِّ الصُّلبِ طويلِ الأمد، حتى انتزاعِ حقوقِهم المَشروعة.

هـ - دعم التَّكامل الاقتصادي بين دول محور المقاومة

من خلال عملِ مشاريعِ التِّجارة البَينيّة والنَّقلِ، بهدفِ إحداثِ التَّكامُلِ في المَواردِ الطَّبيعيّة. وبكلمةٍ أُخرى تَفعيل المُقاومة الاقتصاديّة، عبرَ بناءِ منظومةٍ

اقتصاديّةٍ شِبهِ مُقفَلةٍ داخلَ المِحورِ، والحدّ من تسرُّب رأس المال خارجَ دُولِ وأفرقاءِ المِحور.

المصادر والمراجع

- أحمد، وليد خالد، استراتيجيات شد الأطراف: مخطّطات إسرائيل في تفتيت الأقطار العربية. (مقال على موقع الراصد العراقي) <https://rasediraqi.com/>
- دريفوس، روبرت، رهينة بقبضة الخميني، ط1، دار نيو بنجامين فرانكلين هاوس للنشر، نيويورك، 1980م.
- الزين، حسن محمد، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، ط1، دار القلم، بيروت، 2013م.
- الشاوش، خليفة عبد السلام، الإرهاب والعلاقات العربية الغربية، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.
- كيسنجر، هنري، النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ط3، تر. فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2015م.
- نوفل، أحمد سعيد؛ وآخرون، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2014م.
- هارون، خضر، «هل الشرق الأوسط على مفترق طرق؟»، مجلة الشراكة، العدد (5)، مركز العلاقات الدولية، الخرطوم، يناير/تشرين ثان 2016م.
- Lenczowski, George, "The Arc of Crisis: its Central Sector", Foreign Affairs, Vol.57 No.4, Washington, Spring1974.

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638